مقدمة

تعد ظاهرة بلدان الخليج العربية على شكل دول من الظواهر المتفردة. وينعكس هذا التفرد في إشكالية عدم القدرة على تصنيف هذه البلدان. فحكومات بلدان الخليج العربية من منظور التصنيف السياسي ،ليست حكومات ديمقراطية كما أنها ليست ديكتاتورية ، وفي الوقت نفسه ليست حكومات تسلطية ثورية ولا هي شعبية قبلية. وإذا ما نظر لهذه البلدان من الزاوية الاقتصادية، فإنه رغم مظاهر الوفرة المالية لديها وارتفاع معدل دخل سكانها من النفط الذي يعد من أعلى معدلات الدخل موازنة بدخل السكان في دول العالم الأخرى، إلا أنه ليس بإمكان المرء أن يجزم بأن هذه البلدان هي بلدان غنية أو مكتفية أو هي بلدان فقيرة. من ناحية ثانية وباستخدام منظور القوة والمنعة، فإنه يصعب على أي باحث الإقرار بأن بلدان الخليج العربية هي بلدان قادرة على حماية نفسها ومواطنيها ولديها من المناعة ما يكفيها خاصة في ضوء ذيول حرب الخليج الأولى والثانية التي أوضحت بجلاء عالة هذه البلدان على نفسها وعلى الآخرين مع أن المال لها متاح ولديها القدرة على شراء السلاح اللازم لحماية الوطن والأرواح.

هذه الإشكالية شغلت ذهن الباحث مدة من الزمن على شكل تساؤلات تبحث عن إجابات. ولمعرفة هذه الإجابات قام الباحث بالاطلاع على العديد من البحوث والدراسات التي تناولت بلدان الخليج العربية، ومن أهمها: الدراسات التي أجرتها الأجهزة البحثية في الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية والدراسات التي تبناها وعضدها مركز دراسات الوحدة العربية. كما استعان الباحث بالمعلومات التعريفية التي تضمنتها كتب وموسوعات الحضارة الإسلامية.

مع أن الإجابات التي وجدها الباحث ربما لا تكون بالضرورة إجابات وافية وشافية، إلا أنها أسهمت إلى حد ما في إضاءة نفق التساؤلات وتبين من خلالها أن إشكالية تفرد ظاهرة بلدان الخليج العربية تعود إلى

ظروف منشأ هذه البلدان وتكوينها. وكما تؤكد المراجع فقد نشأت هذه البلدان أو أنشئت في ظروف مضطربة نتيجة لانحسار السيطرة العثمانية في الجزيرة العربية وتمدد السيطرة الغربية بدءاً من سنوات القرن الثامن عشر الميلادية. وقد استغل بعض من زعماء الأسر وشيوخ القبائل الأقوياء آنذاك الفراغ الذي نجم عن انحسار النفوذ العثماني لينشئوا هذه البلدان. واتخذ هؤلاء من حبل الدين بشكل مباشر أو غير مباشر مطية لهم وآلية أخرى لتربيق مجتمعاتهم. وكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف أباها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه "**واضطرب حبل الدين فأخذ بطرفيه وربق لكم أثناءه" تريد لما اضطرب الأمر يوم الردة أحاط به من جوانبه وضمه فلم يشذ منهم أحد ولم يخرج عما جمعهم عليه.** وكما جاء في الحديث "**لكم العهد ما لم تأكلوا الرباق**"، أي أنه شبه ما يلزم الأعناق من العهد بالرباق واستعار الأكل لنقض العهد، فإن البهيمة إذا أكلت الربق خلصت من الشد.

والدين الإسلامي عروة وثقى وحبله قوي ومديد إلا أن قوته وامتداده تعتمد على الغرض من توظيفه واستخدامه. فعندما وظفه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه والخلفاء الراشدون الآخرون من بعده لخدمة الناس واستخدموه لتحرير الإنسان من عبودية الشيطان والطغيان امتد حبل الدين في كل مكان وأقبل عليه مستوثقاً كل من كان واستمر قروناً من الزمان . وعندما وظفه الآخرون ليمتلكوا مصادر القوة واستخدموه لفرض الولاء والسلطان أكدت التجارب سرعة تهاوي البنيان واضطراب الأمن وتولد الشعور بعدم الأمان.

ومن المنظور أعلاه تناقش هذه القراءات والاقتباسات مفهومين في تقدير الباحث أنهما جديدان يتم توظيفهما لأول مرة في محاولة لفهم ماهية بلدان الخليج العربية ووظيفتها في المنظومة الدولية الحالية. وأول هذه

المفاهيم هو: **مفهوم الدولة الريعية** أما المفهوم الثاني فهو: **مفهوم التنمية الحجرية**

وتتكون هذه القراءات واقتباساتها من ثلاثة فصول وخاتمة: الفصل الأول يناقش مفهوم الدولة الريعية ومفهوم التنمية الحجرية، كما تجسدها تجربة بلدان الخليج العربية، كما يناقش في هذا الفصل أثر عوامل النفط ومشتقاته على تحديد الآليات الريعية والتنموية والأزمة السياسية في هذه البلدان. ويورد الفصل الثاني العوامل التاريخية والدينية والاجتماعية والمصالح الدولية وأثرها على نشوء الدولة الريعية في منطقة الخليج العربية. ويتطرق الفصل الثالث إلى المنظومات المجتمعية في بلدان الخليج العربية. وتبرز الخاتمة التحديات الحالية والمستقبلية التي تواجه حكومات ومجتمعات بلدان الخليج العربية.

د/عبدالله مصلح النفيعي

الرياض 1419/3/1هـ الموافق 1998/6/25م